الكتب العربيـة فى العلـوم أقـل مستوى من الكتـب العلميـة العـربيـة

الاستـاذ احمـد الاخضـر
جامعـة محمـد الخـامس (الرباط)

ونشرت جريدة «العلم» بحثا للاستاذ احمد الاخضر فى نطاق الاستفتاء جاء فيه :

انه من السهل البسيط جدا تلقين العلـوم بالعربية وبمصطلحات عربية فصيحة فى مستوى اية لغة راقية . ولكن دون اغفال الاساس وهو تهيىء العدة اي الادوات الفنية التقنية لتدريس العلـوم فى نفس المستوى واكرر والح على هذه العبارة « وهي فى نفس المستوى » .

تعليم بـلا مراجـع ـ يعتبـر ناقصـا

ثم اجاب الاستاذ احمد الاخضر عن السـؤال الثالث حول ازدياد فرص تلقين العلـوم بالعربيـة وتدريسها بالعربية بأن هذا امر طبيعي لكن بشروط :

1) التخصص وهو ان يتخصـص كل مغربي فى فرع من العلوم يعني ان يتقن تخصصه ثم بعد ذلـك ان يفرغ معلوماته فى لغته العربية . وبذلك نتوفـر على المراجع العلمية التي تعوزنا . ومـن المعلوم ان الكتاب المدرسي محدود القائمة فتلاميذ المـدارس الحرة الذين يتعلمون الرياضيات والفيزياء والكيميـاء والطبيعيات بالعربية يفتقرون اولا الى كتاب علمـي مدرسي فى هذه المواد . واذا كان هناك كتاب فى هذه العلوم فانه منخفض المستوى بالنسبـة الـى الكتب العلمية الاجنبية . وثانيا ، ليست هناك فرصة البتـة للتلاميذ لتوسيع او تركيز تلك المعلومات التـي يتلقون مبادئها فى القسم واعني المجلات والكتـب والدوريات العلمية المبسطة فى العربية .

ولابد فى هذا المجال من القيام بعبء تاليف الكتب المتوالية فى اللغة العربية لان تعليما بدون مراجـع يعتبر ناقصا . واذا نحن استنجدنا بالبلاد العربيـة فسنجد ان حصيلتها فى هذا الميدان هزيلة لان الكتاب المدرسي العربي متخلف عن الكتاب الاوربي بما يتعدى 60٪ واذن فمن اللازم والاكيد اعادة النظر فى تاليف الكتـب المدرسية وتاليفها يجب ان يراعي بدوره المستوى الذي عليه الكتب فى البلاد الاوربية .

2) عـدم توفر المراجع ، فنحن فقيرون جـدا فى هذا المجال مع انها اساسية فما العمل اذن ؟ يجب القيام بعملين فورا :

ـ تاليف مراجع من طرف المختصين كأن يؤلـف كل متخصص فى شعبته . فكيف سيكون هذا التاليف او الوضع بدوره ؟ من المعلوم ان المراجع تنقسم الى قسمين رئيسيين : (1) قسم توضيحي ، مروج للعلوم (2) وقسم البحث المتخصص . ويمكن فيما يخـص القسم الاول اعني القسم التوضيحي أن يضطلع بـه اي كان ، لكن بالنسبة للقسم الثاني اي التخصص ، فالامر صعب لانه ميدان عميق . وهنـا يبـرز دور الترجمة ومن المهم جدا ان يشجع التاليف والترجمة والنشـر .

ثم نفي الاستاذ الاخضر بعد ذلك الراي القائل بأن تقدم البلاد فى الميادين الاقتصادية والاجتماعيـة كفيل بتقدم التعليم كأن التعليم نتيجة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي بينما يقول الاستاذ الاخضر الحقيقـة أن التعليم هو محرك التقدم الاقتصادي والاجتماعـي وهو الاساس الذي يبنى عليه اي تقدم كيفما كـان نوعه . وسأضرب مثالا : هناك امم عربية غنيـة تجلب الاختصاصيين والعلماء الاجانب والفنيين لاطلاق الصواريخ ، لماذا ؟ الانهم اكثر ذكاء من العرب؟ لا لانهم فقط متخصصون اكثر من التخصص فى مستوى اعلى .

نحن طبعا متخلفون وهذا معناه اننا يجب تدارك هذا التخلف ، والتخلف يقدر بالنسبة للاشيء اي بـلا مقياس ، وهذا المقياس هو المستوى الذي توجد عليه الامم الراقية . الا ان الامم الراقية تتقدم بسرعـة مذهلة لا يمكن بتاتا ولو مواكبتها ، فلو اردنـا تمثيل ذلك فسنقـول : ان الدول الراقية تتقدم بسرعـة نسميها (س) فلتدارك تخلفنا يجب ان نتقدم بسرعة (س) بمعامل 2 او 3 او 4 ولكن تقدمنا حسب مـا هو عليه التعليم اليوم يسير بسرعة س مقسومة علـى اثنين ، اذن فلن نتدارك ذلك التخلف ما لم نعمل حينا وبدون تردد على رفع مستوى التعليم .

ثم اجاب عن السؤال الرابع وهو تحديد المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام تعليم العلوم فقال: بصفة عامة تقف امام تقدم اللغة العربية ثلاث عراقيل :

الاولى : مشكلة اصلاح حروف الطباعـة بالعربية ، وهذه المشكلة حلت عندنا فى المغـرب

بالمشروع المغربي المعروف الذي تبنته الحكومة واصبح في يدها من حيث الاستغلال .

الثانية : مشكلة المصطلحات العلمية والتقنية ، وفيما يرجع لهذه النقطة ما زال العالم العربي يتخبط في مسالكها .

اما مشكل المصطلح العلمي في العالم العربي فانه اتى اولا : من عدم التوحيد ، وعدم التوحيد يأتي من عدم التمسك بالفصحى ، وللتدليل على ذلك هذا المثال: فقد وضع باحث لغوي عربي للفظة الفرنسية La voix لفظة « حس » شارحا بأن لفظة « حس » شائعة في بلاده وتعني صوت الحلق ، وهو ما يقابل عندنا في عاميتنا لفظة « حلق » عندما نقول مثلا : سمعت حلقه ، والكلمة موجودة عند الجاحظ حيث قال : « ان الصقالبة لهم حلق جميلة في الغناء » فالحلق اذن عندنا وهي فصيحة ولكن مع ذلك استعملت لفظة « حس » .

وثانيا : عدم التحري والدقة في الفصحى عند انتقاء الالفاظ ومثال ذلك : لفظة « اينسلبرج » وهي لفظة المانية بمعنى « جبل منفرد » ترجموا هذه الكلمة «بجبل مفرد» و «جبل منعزل» و «الطود» الخ. والتجاوا اخيرا الى لفظة « انسلبريج » مع ان في « المخصص » لابن سيده كلمة : القرن : هو الجبل المنفرد .

وثالثا : عدم الدقة في فكرية المصطلح ، ونجد مثالا لذلك في لفظة «ركام» العربية التي لها مصطلحات كثيرة « كالمورين » الفرنسية و « الكاو » الفرنسية و « الآما » و « الطا » كلها تقابل « ركام » ..الخ، وهناك من يقول بان كلمات كثيرة في الفرنسية لها معان مختلفة وان كان اللفظ واحدا فمثلا : peau جلد الفرنسية لها معان كجلد الانسان والليمون وغيره وهذا مقبول وموجود في اللغة المتداولة لكنه غير مسموح به البتة في اللغة العلمية ، فلفظة الجلد الفرنسية وهي لفظة عامة تطلق على معان مختلفة في العلوم ولكل مفهوم لفظ خاص .

والقواميس تعطي في اللغات الاوربية معنى محددا للكلمة لا يحتمل نسخه او تبديله ليحل مكانا آخر .

وكذلك هناك عدم البحث عن الاصل الحقيقي المصطلح ، ومن الامثلة على ذلك حرف «س» الذي يستعمل في الجبر في بعض المدارس فقد ترجموها عن حرف «x» الفرنسية التي اخذت بدورها عن «x» الاسبانية التي بدورها ترجمت عن حرف الشين العربية التي تدل على الشيء الذي يبحث عنه . فيجب اذن كتابة ش لا س لان ش معناها شيء ، وس ليس لها معنى .

والمشكل الثاني للمصطلحات وهو انه يجب الاقتناع بان اللغات الاوربية فقيرة جدا بالنسبة الى وضع المصطلحات العلمية ، لذلك لا تجد غضاضة في الالتجاء الى الاخذ من الالفاظ اللاتينية واليونانية .

والصعوبة الثانية آتية من عدم مسايرتنا للمصطلحات يعني اننا لا نضع في الحين والتو المقابل العربي للمصطلح الاروبي وكمثال على ذلك : في المصطلحات العلمية الدولية توضع الفاظ قبل جلب المصطلح وبعده للدلالة على معان موحدة متنوعة وتسمى بالعربية تارة بالمتصدرات والمتطرفات او السوابق واللواحق او الاماميات والخلفيات ..الخ كـ: sous و infra, و hypo من السوابق و ite و ique, و eux, و ose, و sie الخ. من اللواحق . ومن المعلوم ان لكل لفظة معنى خاصا ، فلو وضع العالم العربي من اول الامر المقابلات العربية لهذه الحروف لما أصبحنا اليوم امام هذه البلبلة المؤسفة سيما وان العلم يتقدم بسرعة فائقة والمصطلحات توضع بسرعة لا تقل عنها . ولا اخفي سرا اذا قلت بأنه توضع اليوم قرابة الخمسين لفظة جديدة في كل شهر .

ففي ميدان التقنية بالضبط يوجد معجم انجليزي فرنسي متقابل للمصطلحات التقنية خاصة بالمهندسين والهندسة فقط من تأليف « كبتريدج » به 100 الف مصطلح بينما نجد في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اثرها مجمع اللغة العربية في مختلف العلوم ، في القانون والطب والكيمياء والرياضيات والهندسة ، والبيولوجيا وعلم الصحة ، والباكتريا والتشريح وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الاحياء وعلم الطباعة وعلم التصوير وعلم التاريخ ، والفلسفة والموسيقى وكل العلوم نجد 11.334 لفظة . ولو ارادت مجامعنا ان تضع معجما كالذي اشرنا اليه بالسرعة التي تسير عليها لتطلب منها ذلك قرنا ونصف قرن من الزمان . فهل من يتعظ ؟ وهل من يرى الحقيقة على وجهها الواقعي ؟

« والتينا على الاستاذ الاخضر سؤالا آخر

مضمنه اننا نسمع بوضع معاجم وموسوعات ودائرات معارف ولا زالت توضع الى الآن فى العالم العربي ».

واجاب الاستاذ الاخضر : « لا اعرف فى العالم العربي أن هناك دائرة معارف بمعنى الكلمة انتهى العمل منها ولا موسوعة اكتملت او انجزت ، انما هناك شبه دائرات معارف وشبه موسوعات مع عدم اغفال ان احسن موسوعة تظهر الآن هي موسوعة فؤاد افرام البستاني ، التي لم يصدر منها الى يومنا هذا الا خمسة اجزاء من حرف «ا» الى العين او الغين اظن .. ولماذا هذا كله ؟ لان دائرة المعارف او الموسوعة هي مجموعة معاجم مختصة وتامة ، وبما اننا لم نضع الى يومنا هذا معاجم مختصة تامة ، فلا يمكن لاية موسوعة فى العلوم ان تكتمل ..! وهذا يعني اننا ابتدانا من حيث انتهى الآخرون .!

اما اصحاب المعاجم فلم يخرجوا الى حد الآن الا ما يسمى بمضغات المعاجم .

والحل اذن امام المصطلحات هو :

اولا : للمحافظة على المستوى يجب ترجمة الكتب المدرسية — لا وضعها — ترجمة وافية مخلصة صادقة امينة ومسايرة جملة جملة مدركا مدركا ومفهوما مفهوما بدون الفرار من المصطلحات ولو ادى ذلك الى استعمال المصطلح الاجنبي موقتا للمحافظة على الوان المعاني كما فعلت الامم الاوربية قبلنا اذ ترجمت الكتب المدرسية الفرنسية الى لغاتها بادخال المصطلحات الفرنسية ، وتخرجت افواج فى المستوى قامت بتاليف كتبها المدرسية في المستوى ايضا .

ثانيا : وضع المعاجم المختصة فى اقرب وقت وبدون تردد . وعرضها على مؤتمرات دورية بالبلاد العربية بعد توزيعها من قبل على الهيئات المختصة.

ثالثا : — واثناء ذلك — تجريد القواميس العربية وكتب اللغة وتصنيف موادها تصنيفا ترتيبيا حسب المعاني وحسب الحروف .

والعمل الاخير يعني تجريد القواميس وكتب اللغة — وهو العمل الذي يسبق وضع المصطلحات وذلك للمحافظة على وحدة اللغة العربية وجعل العربية المعاصرة تكملة للعربية الفصحى حتى لا يقع انفصال بين عربية اليوم وعربية الامس ..

وفى الحقيقة فان التجريد هو نقطة البداية، ونحن مضطرون الى العمل بالاثنين: وضع المصطلحات والتجريد . لان اللغة تتجدد وتصلح ما فاتها .

وبديهي انه لا يفهم من هذا كله ان مثل هذه الاعمال لا يستطيع شخص واحد ان يقوم بها .

الا ان مما يرتاح اليه الضمير ان المغرب بجراته فى دراسة اللغة العربية على حق وجهها واثارة الغبار عن افكار جامدة ، فاننا نلاحظ اليوم فى العالم العربي حركة ونشاطا فى وضع المعاجم وفى التعريب كانت انطلاقا لدعوة المغرب فى هذا الميدان . لان المغاربة يشددون على نفسهم كما يشددون على غيرهم غايتهم فى ذلك الوصول الى العمل المتقن لا المهلهل . كما انهم ينقدون ذاتهم ويضعون امامهم الحقائق وان كانت مرة. ولكن شجاعتهم لمجابهة المشاكل لما ينبىء بمستقبل زاهر للغة العربية ولمستوى التعليم العربي » .

اما المشكل الثالث وهو تبسيط النحو ، ففي الحقيقة ليس بمشكل لان اللغات الاوربية عموما ليس لها نحو بمعنى قواعد قياسية . فاللغات الاجنبية لا تكتسب الا بالسماع والممارسة . اما اللغة العربية فلها قواعد منها الثابت ومنها غير الثابت ، والثابت منها اكثر من غير الثابت ، ولها اوزان وتصاريف منطقية ، ولها قوالب قياسية . فهي من هذه الناحية اسهل اللغات ولكن الشيء الذي يشتكي منه اولئك الذين يتهمونها بصعوبة النحو هو ان اللغة العربية لا تعلم فى المدارس كما يجب ان تعلم والعيب كله ليس فى النحو العربي ولكن : اولا : فى الابواب الضرورية للنحو ، وثانيا : فى كيفية ومنهج التلقين .